لحظة شرود

قصص قصيرة جدا

دار الوطن
للصحافة والطباعة والنشر

محمد محضار

لحظة شرود

قصص قصيرة جدا

دار الوطن
للصحافة والطباعة والنشر

الكتاب : لحظة شرود
الكاتب : محمد محضار
الصنف : قصص قصيرة جدا
الناشر : دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر
رقم الإيداع القانوني: 2013MO1148
الترقيم الدولي: 978-9954-1-0934-2
الطبعة الأولى: 2013
الخدمات الفنية والطباعية:

دار الوطن
للصحافة والطباعة والنشر

7، زنقة الكوفة رقم 1 الرباط حسان 10020 المغرب
تلفونات:
مكتب : 54 24 72 537 212+
جوال : 56 02 42 673 212+
البريد الإلكتروني:
daralwatan2012@gmail.com
daralwatan2018@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.daralwatan.com

إهداء

أهدي مجموعتي القصصية إلى روح والدي،
الحاج مسعود، إلى والدتي. إلى بناتي الثلاث:
سلمى، إيمان و فاطمة الزهراء، كما أهديها
إلى رفيقة دربي زوجتي سعيدة رواج

تقديم
لحظة شرود
تجربة متميزة في المجال الأدبي والقصصي

(*) محمد داني

يتحفنا الأديب محمد محضار بمجموعته القصصية (لحظة شرود) ، عن دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر، بالرباط... وقد تضمنت ستة عشر نصا قصصيا.. هي:(لحن حزين على اوتار مستعارة- الوجه القديم- لعنة الليل- لحظة شرود- الابتسامة الصفراء- خلوة- الغاية تبرر الوسيلة- قتل مع سبق الإصرار- ليل حزين- عبير الماضي- ثمن الكرامة- الملك لله- بلا عنوان- الحفرة- الخطو الشارد- الفرصة الأخيرة)... وشغلت هذه العناوين ثلاثا وستين صفحة...

وتمثل تجربة الأديب محمد محضار مسارا فنيا وأدبيا، تميزه مجموعة من الخصائص الفنية، تدخل في سياق التجربة القصصية المغربية... وتساهم مع إنتاجات قصصية أخرى في إنعاش الحراك الأدبي الذي تعرفه القصة القصيرة المغربية... إن محمد محضار، من الأصوات الجديدة، والتي تمثل علامة فارقة، في القص المغربي، إلى جانب قصاصين كبار، أمثال: أحمد بوزفور، وعبد الحميد الغرباوي، ومحمد صوف، وإدريس الخوري، وعبد الرحيم المودن، وعلي أفيلال، وزهرة الرميج،وعبد الغفور خوى،وغيرهم مما يجعل اللائحة تطول

أكثر...
إن محمد محضار في قصصه القصيرة يهتم بالقضايا الإنسانية والاجتماعية...فيقوم بتقديم مشاهد حية يزيل فيها غطاء الزيف الذي يعفن الواقع...
وقصص محمد محضار لا تخلو من جمالية، تتمثل في مجالين اثنين، هما:
– تحقق القص.. وتحقيقه في نفس الوقت ، الهوية والانتماء لفن القصة القصيرة...
– الاشتغال على الحكاية في كل قصة من المجموعة القصصية.
وتحفل قصصه بانعكاسات فنية، خاصة اللغة، التي يبين من خلالها محمد محضار خصوصية الشخوص.. والنفاذ إلى دواخلها.. مع الاهتمام اللافت إلى بناء الحكاية شيئا فشيئان إلى مرحلة الاكتمال الواعي...
فالجملة القصصية عند محضار توحي بالكثير.. وتعكس أكثر مما هي عليه .. يزيدها المشهد السردي بريقا وتوهجا...
واثق كل الثقة من أن القارئ سيجد متعة ولذة في قراءته هذا المتن القصصي الجميل...فهنيئا لنا بهذا الطبق القصصي الشهي...

(*) ناقد مغربي

..لحن حزين على أوتار مستعارة

حين يحتضر الليل ثم يموت..وتختفي الحشرات الصغيرة, تظلل وجهه الحزين صفحات قاتمة من الصمت, فتكسب الميلاد جوا ممزوجا بالشكوك وتزيد من غموض الكلمة المبهمة..يود أن يكون من قراصنة البحر وأن يلتهم كل جسم يعبر بأسنان من حديد , يسمع صوتا يناديه من بعيد, يتجه نحوه يمزق السكون الذي يسود المدينة الغارقة في النوم , يندفع في الفراغ يبحث عن جندي مفقود غادر المدينة ولم يعد, يبحث عنه ويتمنى أن لا يجده.
المدينة خالية إلا من بنايات بيضاء تشهد أن الليل قد مات قبل أن ينتحر.....
يمشي وينتظر أن يحدث شيء ما في مكان ما, لكي يحصد الجوع في عام القحط, لكي يغني للمحروم والبائس أغنيته الحزينة/ القديمة..
نزل في هوة عميقة وواسعة , رأى البشر من كل صنف , لا زال ينزل ويقفز فوق الأسلاك الشائكة ..وصل, التفت فرأى إبتسامة تعود أن يراها , ابتسم هو أيضا ثم قهقه دون مبالاة, واتجه نحوها ., عانقها وقال كلمات قليلة غير مفهومة , ردت بنفس الطريقة اضطرب وامتقع وجهه الكئيب قال أشياء كان يحلم بها ولا يزال , لا يدري كيف كان ذلك؟ ممتعا ربما..ماأدهشه هو أن الجو الذي يسود المكان كان مكتئبا . حاول الصعود والخروج من هذا العالم , لم يستطع , كان ضعيفا...
صيحة حادة من فم مقهور تكاد لا تصل الأذن الصماء رغم انها قد اخترقت الستار الحديدي وجدران الإسمنت ..

قال المعتوه:

_ إفعلوا ما شئتم , اضربوني ..عذبوني إذبحوني ..فلن أحيد عن فكرتي ..لن أنفذ رغباتكم ..لن أظل عبدا ذليلا ..تأمرون فأنفذ..لا تتعبوا أنفسكم ..اسمعوا جيدا اطردوا كل فكرة تحيل على الإستسلام من جماجمكم اللا معة واسمعوا ما سأقوله لكم ...

_ الزمن كسيح ينتظر أن يجره الناس لكي يحمونه. ويحمون أنفسهم والرغبة شيطان يدفع الى حب النفس ..

ألا تسمعون نيرون يصرخ في أحشاء العالم الميت ألا ترونه وسط روما في يده ورقة وريشة . يقرأ قصيدته وسط الدخان..ألا ترون الغول الذي يشرب دمائكم في آنية من طين ؟

لا داعي للهرب , لا داعي للأسف . . عودوا الى ما كنتم عليه فانا مجرد معتوه وما ترونه أمامكم خيال لا وجود له.....

23 نونبر 1978

الوجه القديم

من أعماق البركة حيث تسكن الضفادع , يأتيك الصوت النسائي بكلماته المعهودة, تلعن الشيطان , وتخرج من الزقاق الضيق, ماذا لو ينفجر رأسك لتسيل منه كل الأوهام , ورغباتك المكبوتة . ربما سيرقص الجزء الأسفل من جسمك ..ربما سيضحك الشيطان .

حين تبتلعك الدوامة وتدور معها في الفراغ الموحش , حينئذ يكون كل شئ قد صار مباحا وتكون صرختك التي لا تعرف ما وراءها شيئا منطقيا ومعقولا.

تحس بالعواصف تجعلك ألعوبة في يدها, تشعر بالبرد , والصيف في أوله ..تحس أن قوتك خائرة ..تحس الموت وأنت في البداية..تمتد قوى غريبة في شكل حلزوني للإمساك بجسمك النحيف ,و تجره الى النهر , لكن!!قوة جسمك العنيد تنتصر عليها في هزيمتك ..تبحث عن النور بجد , عيناك لا تتحملان الظلام, تبحث ثم تبحث, وفي الأخير, تستسلم للواقع وتترك الظلام يدخل عينيك فجسمك, ثم يشل حركاتك.

تتجه في ضعف الى زاوية الذين يموتون بردا , تترك وجهك القديم يحتضر . بل تقتله قبل ان يموت ثم تلبس الوجه الجديد.

مسحت عرقك بعد ان وضعت حملك الثقيل, وفي ذاكرتك حلم,,هل نسيته ؟؟الحلم الذي لا يفارق ذاكرتك من الأزل-.كنت وما زلت تريد ان تضاجع جسما - ولا يزال عالقا

بخيالك ، لكنك خفت..لعلك تذكرت يوما مر في حياتك
ولن تنساه او ربما خجلت من نفسك..

*نشرت بجريدة صوت الاباء سنة 1982

لعنة الليل

العيون شاردة ضائعة ولفائف التبغ تحترق بين الأنامل, والأفكار تنساح من الأدمغة مضطربة في غير تناسق.. الكلمات تتدحرج موغلة في الغموض من بين الشفاه, ولعنة السراب تطوق الأعناق..

المدينة تلبس عباءة حالكة , وتهرق كؤوس فجورها عند أقدام مومساتها وتعلن بداية الليل..

على الرصيف سار متخاذلا , يحتوي جسده معطف ثقيل..يكح ويبصق ..كان مزكوما يخنق السعال صدره , وأنفاسه تتسارع ..يقف على حين غرة أمام ملصق إعلاني لعلبة ليلية, تتراقص عيناه الجائعتان في محجريهما وهما تقعان على صورة الراقصة التي تتوسط الملصق ..يلعق شفتيه بلسانه , وهو يتأمل صدرها العامر , ثم يتطلع الى باب العلبة المزين بمصابيح النيون الملونة..تتوقف أمامه فجأة سيارة سوداء فاخرة, يترجل منها كتلة لحمية تنط بطنه أمامه, وترقص عجيزته خلفه..صلعته تلمع من أثر الدهن, وفي يده ينتحر سيجار ضخم..تتبعه حسناء رشيقة القوام يلف جسدها ثوب من الستان الأزرق, ويتدلى من شحمتي أذنيها قرطان ذهبيان..ويحلي جيدها عقد لؤلوي لماع..

يدلف الكتلة اللحمية صحبة الحسناء, إلى العلبة الليلية تحت نظراته الجائعة..يقترب من السيارة الفارهة..ينظر بانبهار الى دواليبها المتينة , ثم زجاجها المعتم و ويمضي يدور حولها كإفريقي يمارس طقوسه الطوطمية..

فجأة يحس بيد توضع على كتفه..يستدير بسرعة ليجد نفسه بمواجهة شرطي عابس, يسأله الشرطي:
- ماذا تفعل هنا ؟؟
يرد باضطراب :
- فقط أتأمل السيارة

- تتأملها أم تخطط لسرقتها

يعقد ما بين حاجبيه , ثم يقول :
-حاشا يا سيدي ..أنا لست لصا
- هل معك بطاقة تعريف ..
- نعم ..
يمد للشرطي بطاقة تعريفه والكحة تخنقه . يلقي عليها الشرطي نظرة فاحصة:
- حسنا لست محل ريبة وشك ..لكن اِبتعد عن السيارة .. يبتعد بخطى متخاذلة ..ثم يعود الى السير من جديد على الرصيف ..يلفح وجهه نسيم البحر الرطب..يقطع مسافة طويلة بين شوارع المدينة, شاردا تعصف رياح التيه بحبل أفكاره, والكحة تخنقه..ينتظر أن يحدث تغيير في حالته النفسية ..يتسرب الى اسماعه مواء القطط الضالة, وهي تعبث بصناديق القمامة , فيشمئز ويقرأ البسملة ..
حارة «لاحونا»1تبدو هادئة , وقد استسلمت للعتمة ..يجد نفسه وسطها وهو على مرمى حجر من بيته الوضيع

مقهى الأب جَلّول كالعادة تضيق بالرواد الذين يحتسون الحريرة الساخنة ..يدلف الى الداخل يحتل منضدة متهالكة في ركن قصي..
يطلب زليفة من الحريرة وخبزة من الشعير, ثم يمضي يلتهم وجبته , وعيناه تعانق الوجوه الكالحة المنتشرة في المقهى.. يتذكر الراقصة العارية والكتلة اللحمية والحسناء الفاتنة والسيارة الفارهة..تعلن تقاسيم وجهه عن احساسه بالغبن والتقزز...فيقول في نفسه» رجا في الله».....

1كلمة تحيل على التهميش
مراكش8/09/1985

لحظة شرود

عندما استيقظت هذا الصباح اِكتشفت أن هناك أشياء غير طبيعية قد حدثت في أعماقي، وأن هناك تغييرات جدرية قد مست جسدي، ظننت المسألة في أول الأمر مجرد حلم عابر.. لكن مع مرور الوقت اتضح لي أن الحلم حقيقة.. شربت قهوة سوداء علّ خلايا دماغي تسعفني وتضعني على السكة الصحيحة لكن التناقضات ازدادت وضوحا.. فاستسلمت للأمر الواقع، وقلت لنفسي «إن ما يحدث لي يتجاوز حدود إدراكي وقدراتي العقلية».

اختلطت عندي المفاهيم وتزحزح الأنا الأعلى من مكانه، ولم تعد لدي القدرة على التمييز بين الواقع والخيال.. عندما خرجت إلى الشارع، بدت لي الحياة العامة باللونين الأبيض والأسود فحسب.. أما الناس فكانوا يسيرون بطريقة معكوسة.

تذكرت أن علي ركوب الحافلة من شارع أفغانستان، حتى مرس السلطان حيث مقر عملي.. عندما جاءت الحافلة اكتشفت أنها بدون أبواب ولا نوافذ ولا مقاعد.. والناس الذين يوجدون بداخلها يتحدثون بلغة لم أفهمها وأجسامهم شفافة قابلة للاختراق.. كنت أراهم وأخترقهم لكنهم كانوا غير آبهين لأمري كأنني غير موجود.. توقفت الحافلة فجأة.. فاندفعت إلى الخارج..

عندما ولجت مقر عملي.. بدت لي الأمور في أول الأمر عادية لكنني ما إن دخلت مكتبي حتى فوجئت بديكورات قديمة، وتجهيزات تحيل على فترة زمنية بائدة.. كراسي خشبية لم يعد لها مثيلٌ وأرائك جلدية ذات قيمة

تاريخية ومكاتب من الأكاجو الممتاز.. كل شيء كان يوحي بأنني أوجد خارج الزمن الذي كنت أعيش فيه ،كان لباس الموظفين المنتشرين في المكاتب الإدارية يحيل على الماضي بكل عبقه، ويذكر بحقبة زمنية غابرة. قال لي موظف يرتدي جلبابا بزيوياً١أبيضا ويضع على رأسه طربوشا أحمراً.. «لقد سأل عنك الباشا» «نظرت إليه مستغربا!!» :«سأل عني الباشا»..«تابع كلامه وكأنه يعرفني» «قلت له: أنك في دورة المياه» «رددت عليه وعلامات الاستغراب ما تزال بادية على وجهي: «وماذا يريد مني الباشا؟؟»

قال الموظف بنبرة حادة «أنسيت التقرير الذي كلفك بإنجازه البارحة.. عن أحداث مدينة وادي زم الأخيرة..»

وتواصلت معالم الدهشة والإستغراب على سحنتي، وقلت بصوت أجش:

- تقرير حول ... أحداث مدينة وادي زم.. وما شأني أنا بهذه الأحداث.

- لا تتغابى.. لقد قتل عشرات الفرنسيين على يد الأهالي.. وسلطات الحماية محرجة أمام الرأي العام الفرنسي..

قاطعته ضاحكا:

- لقد طرحت هذه القضية في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

نظر إلي بعينين تلمعان بالدهشة.وقال:

- ها أنت تعرف أكثر مني..

سايرت الرجل في تخريفه.. وحملت ملفا ضخما وجدته على المكتب المفترض أنه لي.. ثم خرجت قاصدا مكتب

الباشا سرت خطوات في الممر المزين بلوحات زيتية قديمة، إلى أن وجدت أمامي لافتة كبيرة مثبتة إلى جانب باب ضخم من الأبنوس كتب عليها «مكتب السيد الباشا» طرقت الباب ثم ولجت .. وجدتني في فضاء فسيح وشاسع.. اكتشفت زرابي رباطية وطنافس فاسية، وموائد بأشكال هندسية فريدة.. وفي العمق كان هناك مكتب بني اللون من الموشارابي الرفيع يجلس خلفه رجلا ملتح يرتدي جلبابا أبيضا وبرنوسا من نفس اللون ويضع على رأسه طربوشا أحمرا.. ما أن لمحني حتى هتف بي..

- أين الملف.. أسي المهدي .. أريد ملف مدينة وادي زم.

قدمت له الملف.. فتلقفه .. ومضى يفحص أوراقه.. بتأن.. وتدقيق.. وعندما لاحظ أنني مازلت واقفا.. قال لي بصوت مستفسر:

-لماذا لا تجلس؟؟ هذه ليست عادتك !!

جلست على الأريكة الجلدية المحاذية للمكتب، تابع بصوت متوتر:

- أنت تعلم أن المقيم العام الجنرال جوان متعنت ويريد نتائج واقعية أكثر على الأرض.

قاطعته مستغربا:

- الجنرال جوان!!

- ما وقع في وادي زم خطيرٌجدا .. لقد قتل الأهالي عشرات المعمرين الأبرياء.. مات الأطفال والنساء..

قاطعته متسائلا :

- والأهالي.. ألم يهلك منهم خلق كثير؟؟ !!

تابع كلامه غير آبه لما قلت:
- حتى المستشفى انتهكوا حرمته وقتلوا الطبيب والمرضى.. أما المراقب المدني الفرنسي كرايول فتمت تصفيته بكل بشاعة قرب «دار الضّوْ» إنها مدبحة رهيبة أسي المهدي..
علقت محركا رأسي:
- فعلا هي مدبحة.. دفع الأهالي ثمنها غاليا.. يا جناب الباشا..
تجاهل تعليقي مرة أخرى وقال بصوت متهدج:
- لقد لقي الجنرال ديفال مصرعه بعد سقوط طائرته فوق منطقة خنيفرة. لو وصل إلى وادي زم لكان أمر بحذفها من الخريطة.
- هذه حكمة ربانية.. فالطغاة مصيرهم الاندحار..
- جوان متشدد مع القواد والباشوات.. نحن في خطر أسي الخليفة..
إذن أنا خليفة.. في زمن لم أعشه.. وفي عمق تاريخ أصبح للذكرى..
قلت للباشا المفترض:
- إذا كنت خليفة.. فاعتبرني مستقيلا.. منذ اللحظة..
رد علي بغضب:
- ماذا تقول؟؟ أصمت من فضلك.. أتعلم أن الاستقالة تساوي الإعدام.. فإما الولاء لفرنسا أو الموت.. أتعلم أن همجية ثوار وادي زم دفع ثمنها الأهالي غاليا لقد دمر العساكر المنازل وخربو الدواوير.

قاطعته مستهجنا كلامه:
- الموت أهون من الذل.
ثم هرولت مغادرا مكتبه.
قابلت الموظف صاحب الجلباب البزيوي، سألني مستفسرا:
- ماذا فعلت مع جناب الباشا؟؟
- قدمت استقالتي؟؟ !!
- أتمزح.. إنك يده اليمنى.
هرولت مسرعا أغادر المكان.. تنفست الصعداء عندما أصبحت بالشارع وتحسست أطرافي لأتأكد من وجودي.. وكينونتي.. التفت حول نفسي، وحدقت في الفضاء الذي أوجد به.. كان هناك بياض ،ورائحة دواءٍ.. يا إلهي أنا أوجد في المستشفى!!كنت ممددا على السرير.. وبالقرب مني تجلس أمي وإخوتي.. ونظراتهم مسمرة علي.
هتفت بهم مندهشا:
- أين أنا؟؟
اقتربت مني أمي وهي تبتسم قالت:
- الحمد لله.. على سلامتك أفقت أخيرا من غيبوبتك..
- غيبوبتي !!
قاطعني أخي موضحا:
- لقد تعرضت منذ يومين لحادثة سير وأنت عائدٌ من مدينة وادي زم ثم دخلت في غيبوبة..

* نسبة الى مدينة بزو المغربية

الابتسامة الصفراء

رسم على وجهه إبتسامة صفراء, ومسح دمعة نافرة سالت على خده الذابل . ظل يحملق في وجوه الأشخاص الحاضرين , كانت الموسيقى تصدح هادرة , وصوت المغني الشعبي الناشز يحطم السكون ..وكانت الفتيات وكذا بعض النساء يرقصن بانتشاء ظاهر ..أحيانا يتسلل الى جانبهن بعض الشبان وحتى الرجال ليشاركوا في الرقص ..بدا له كل شيء أشبه بالحلم ..حاول استرجاع شذرات من الماضي الآفل ..قالت له زوجته وقد أحست بشروده :

-ألست سعيدا بحق السماء , ها قد عشت حتى زوجت آخر بناتك

رد عليها وهو يبتسم :

-بقدر ما أنا سعيد , بقدر ما أنا حزين ؛ لأنها ستفارقنا كأختيها ونبقى وحيدين.

قاطعته ضاحكة:

-هذا شيء جميل , سيصبح لنا بيت جديد , نأوي إليه متى شئنا .

إنها تحاول التخفيف عنه بكلماتها هذه ..الأمر بالنسبة له يعلن عن اكتمال مهمته في الحياة ..لقد أدى واجبه ,وأصبح عليه الآن أن يقف مع صف المنتظرين..وتلك قصة أخرى.

سمع رجلا من الحاضرين يقول لزميله: هذا حال الدنيا .»،شي طالع شي نازل.»،أحس بأن قوله يعبر عن حاله .. كانت النكافة *. قد بدأت تردد لازمتها المعتادة في كل

الأعراس , انطلقت الزغاريد وصلى الجميع على النبي..
قال لنفسه ..ليفعل الزمن ماشاء ..فالله موجود ..المهم أن تكون الصغيرة سعيدة ومرتاحة..الديون لا تهم والإقتطاعات المنتظرة من الراتب الهزيل محتملة..فقد أصبحت له حصانة ضد الفقر وضيق ذات اليد ..يساعده في ذلك تدبير زوجته و حسن تصريفها لأمور البيت..
هما يشتغلان معا ..ويكافحان معا ..الحياة بالنسبة لهما شغل ولا شيء غير ذلك..لحظات المتعة والحب و كل تلك الأشياء الجميلة التي يمكن أن يعيشها زوجان ظلت غائبة بالنسبة لهما.
لحظاتهما الحميمية كانت نسخا كربونية متشابهة ..أحاديثهما هي دوما عن المشاكل المادية, ومتاعبهما في العمل , ومصاريف البنات ولا شئ غيرذلك..الحياة بالنسبة لهما حساب وميزانية شهرية , وتخطيط يجب احترام بنوده .
ثاب إلى نفسه عندما عادت زوجته لتقطع عليه لحظات استرجاعه لفصول حياته , وهي تهتف به :
-هيا ..هيا بنا لنأخد صورا مع ابنتك وعريسها
رد بصوت خافت:
-هيا هيا الله يكمل عليها هي وزوجها.

*سيدة تقوم بزف العروس

خلوة

نظرت حولها في نشوة ..الشاطئ يكاد يكون خاليا، نزعت صندلها، وضعته في حقيبتها، رفعت طرف ثوبها وتقدمت نحو البحر.. أحست بلذة غريبة عندما لمس رذاذ الموج وجهها وغسلت المياه قدميها الصغيرتين، وتنشقت زنوخة البحر اللذيذة، كانت الشمس توشك على أن تودع، وقد بدت قرصا أرجوانيا يغوص نحو الأعماق، تاركا حمرة شفقية ساحرة.

مشت طويلا وفرحة جديدة تسكن نفسها الكئيبة، مضى زمن ولم تحصل على مثل هذه المتعة فتنفرد بنفسها وتتاح لها مثل هذه الخلوة الرائعة، تفاهات الحياة الكثيرة تسرق كل لحظاتها، وتقتل كل رغبة لديها في الإحساس بالوجود وتذوق بعض لذاذات الطبيعة، لقد أنساها الإسمنت المسلح والجدران الشاحبة، وعراك الحافلات كل شيء، وجعلتها المشاكل تستسلم لليأس القاتل.

«أين أنا؟ ماذا وقع لي يا إلهي؟ هل حقا أصبحت في الأربعين من عمري؟... عشرون عاما من الدعارة.. من يصدق؟.. عشرون عاما من الضياع والتسكع بين شقق العزاب، وحانات المدينة، و الأيام تستهلكنا دون أن ننتبه إلى ذلك، ونظل غارقين في التفاهات والمتاهات.. يا إلهي جسمي بدأ يفقد بريقه والمساحيق لم تعد قادرة على إخفاء تجاعيد وجهي والعشاق يطلبون الصبا والجمال، وأنا لم يعد لي شيء من ذلك، صديقي عواد الذي اعتدت

زيارته منذ عشر سنوات بشقته نبهني إلى هذا. قال لي: (الزمن يقتل. انظري قبل مدة فقط ,كنا شابين والآن ها نحن نطل على الكهولة) ابني الآن صار شابا. كلما ذهبت لزيارته ألمح في عينيه بوادر رفض كامل لأمومتي.
خلال زيارتي الأخيرة له قال لي أن والده أمره بأن يتجنبني. ولأنه يحب والده ولا يريد أن يعصاه فهو يرفض لقائي مرة أخرى. قلت له: أن ذلك حقي. وأنني أمه. فرد علي بصوت جاف: (ولكن سمعتك سيئة وأنا لا أريد أن أراك بعد اليوم)هكذا إذن الزمن يتنكر لي. وابني يرفضني وجسمي يخونني).
استلقت فجأة على الرمل. بعض العشاق الشباب. كانوا يتباوسون ويتضاحكون.. وعيونهم تنطق بالنشوة. تطلعت إليهم بيأس. إثنان كانا قريبين منها. سنهما لا يتعدى العشرين. الفتاة ممدة على الرمل. والشاب يدفن رأسه في صدرها . كانت تبتسم . وتشده من وسطه بكلتا يديها . وتدفع جدعها نحو. وهي تبتسم . والظلام يستر حبهما !
يا إلهي كم أنا تعيسة وشقية.. كم رأسا دفن بين نهدي وكم وسطا حل بين فخدي. كلهم يلهثون. ويهمسون بكلامهم الكاذب ثم يسترخون. وأنا أنوء تحت ثقل أجسامهم. أتحطم أذبل.. أتلقى قمامتهم القذرة. لا أحد يحترم إنسانيتي كلهم ساديون. حقيرون. يخدشون جسمي ويمزقون لحمي.. بعضهم يجلدني أو يطفئ أعقاب السجائر في ظهري.

الليل أرسى قلاعه واحتضن الشاطئ وامتزجت النغمات الموسيقية المتداعية من المراقص المجاورة بهدير الأمواج المتلاطمة فأحدثت ما يشبه الخدر في نفسها.
العشاق ما زالوا حولها غارقين في نشوتهم، وهي تسترق إليهم النظر بخجل تارة، وتنظر إلى البحر تارة أخرى.. وأحيانا ترفع رأسها إلى أعلى لتحتضن بعينيها القمر الذي كان في ليلة اكتماله.
تحس بالحزن والفرح يندمجان في حميمية ويسكنان ذاتها، «يا رب السماء ما أروع الليل والقمر، ما أجمل البحر، وما أعذب هذا النسيم الرقيق... إنها هبات قدسية منك، تطفح بالجمال.
نحمدك عليها..لكن يا رب.. وهذا القبح الذي نصطدم به يوميا، والنتانة والعفن اللذان يحيطان بنا في كل مكان، من يهبهما لنا بغير حساب؟؟.. لست أنت على كل حال، فأنت جميل وتحب الجمال، ولكنني أنا خليقتك لم أعد جميلة فهل يا ترى ما زلت تحبني؟؟ يقولون إنك لعنت الزانية والزاني.. فأنا إذن ملعونة، محرومة من عطفك، ولكنني رغم ذلك لن أيأس من رحمتك فأنا ما زنيت إلا لآكل.. لو لم أفعل ذلك لمت جوعا، زوجي طلقني دون سبب.. تركت له طفلي الوحيد منه لأجنبه حياة, الرذيلة التي أحيا، وها هو إبني اليوم يرفضني، من حقه ذلك فلا أحد يرضى أن تكون أمه مومسا..
قامت من مكانها، الرمل ناعم وتشوبه رطوبة عذبة.. أحست بذلك وهي تتجه نحو المرقص الذي كانت تتلألأ

أنواره وتصدح جنباته بالموسيقى وعندما أصبحت على مشارفه مسحت حبات الرمل العالقة بقدميها ثم ارتدت صندلها، ودخلت ضمن الداخلين، صدمتها رائحة الخمر والدخان وكأنها
لم تعتدها، جلست إلى إحدى المناضد ، طلبت على غير عادتها مشروبا عاديا، وضعت ساقا على ساق وحملقت حولها.. ثم انتهت بناظرها إلى حبله الرقص حيث كانت الأجساد تمارس جنونها.. الأرداف، والنهود ترج، والثغور تسرق القبلات والأيادي تعبث..
لا معنى لكل هذا أمام قسوة الحياة.. إنه مجرد لعبة زمنية مؤقتة من أجل النسيان.. نسيان الغد المبهم والمعاناة الآتية.. ارقصوا أيها المجانين فكم رقصت قبلكم، كم عريت ساقي، وأبرزت نهدي ، وها هو الزمن المقيت لم يذر مني إلا جسما ذابلا وروحا حائرة، وعواطف مشتتة ، ارقصوا فلكل دوره، والدور عليكم غدا..
وعلى غير وعي منها قامت من مكانها، دفعت ثمن المشروب ثم خرجت.. لفحت وجهها نسمات الهواء الرقيقة.
وانتابتها رعشة لذيذة طردت ذلك السأم القاتل الذي شعرت به داخل المرقص.. ليس مهما الآن أين ستذهب إنها ارتاحت.. ومن يدري فقد تجود عليها الظروف بزبون طيب ينسيها بعض متاعبها.
١٩٩٣
ظل طوال الليل يتقلب في فراشه ، كان مسهدا ، والأرق

الغاية تبرر الوسيلة

قد سلب من عينيه نعمة الكرى ، كان عقله مشوشا وغارقا في آتون التفكير ..قد مضى عليه الآن أكثر من أسبوع على هذا الحال ..وهو يحاول عبثا الخروج من من هذا الوضع بأقل الخسائر الممكنة ، لم تعد الحبوب المهدئة قادرة على احتواء فورة أعصابه وانفلاتها ، ولا زجاجات الجعة التي يلجأ إليها لتعطيل هواجسه حافظت على ذلك المفعول السحري الذي يحدث في نفسه المتعة اللحظية ، إنه يجد صعوبة في ضبط نفسه، والتكيف مع الوضع الجديد الذي أصبح يعيشه ..الأمر بالنسبة له يشبه حلما رهيبا ، بل قل كابوسا مزعجا لم يخطر له على بال .

.....٢.....

زئير أسد جريح يدوي في أعماقك ، لهفة وحيرة تجثمان على صدرك العليل ..رغبة قوية في التميز الذاتي تسيطر على عقلك ، تَودّ لَوْ أنك تأبطت مدفعا رشاشا ، ثم اندفعت إلى مكان مزدحم وأطلقت العنان لرصاصه يلعلع فيحصد أرواح القطيع المهرول في كل الاتجاهات دون غاية أو هدف ، عندها سَينتَبهُ إليك الجميع ، وستصبح أشهر من نار على علم ، ستكتب عنك الصحف ، وتقدم الفضائيات نشرات خاصة بك .

.....٣.....

تهادى إلى أسماعه آذان الفجر ، لعن الشيطان عدة مرات ثم تلا المعوذتين، وقام من فراشه ، توضأ ثم صلّى ركعتين وخرج .

كانت المدينة ماتزال غارقة في سباتها ، والسماء قد بدأ ظلامها يتبدد ، والعمال والعاملات ينحدرون نحو مصانعهم وشركاتهم وهم يَدعكون عُيونهم ..أما هو فكان بلا هدف يسير على غير هدى نحو المجهول..كانت لديه قناعة بأن رحلته تبدأ من الصفر ، وتنتهي إليه ، والخروج من هذا الوضع يرتبط بمدى قدرته على القيام بعمل جبار يشد إليه الانتباه ويكسر طوق الصمت الذي يغمره ..حتما مثل هذا العمل يتطلب تضحية كبيرة لا يمكن أن يقدم عليها إلا الرجال الأفذاذ.

كان قد وصل إلى حديقة المدن المتوأمة ، المكان شبه خال والمقاهي المحيطة قد فتح بعضها أبوابه لبعض الرواد ، وقعت عيناه على مقصف « فينيسيا» تذكر أنه دفع مائتي درهم مقابل طرطة مثلجة وكأسي عصير ، لما صاحب إحدى الفتيات إلى هناك منذ أسبوعين. تابع سيره على امتداد الحديقة ، نسمات هواء الصباح تلفح وجهه فيحس ببعض الانتعاش ، لا حت له بناية العمالة ، وسمع لغطا قادما من هناك ، فاستحث الخطى متجها إلى مصدر اللغط.

.....٤..... ...

ها أنت تجد نفسك أمام جمع من الشباب يحملون لا فتة كتب عليها بخط واضح : « المكفوفون يطالبون بحقهم في الشغل والحياة الكريمة «..تقترب منهم ..هناك رجال أمن وسلطة يحيطون بهم ، كانوا يحملون قنينات بنزين وولاعات ، وكان متزعمهم يمسك مكبر صوت ويردد

شعارات منددة بالحكومة والمخزن، فيجاريه رفاقه فيما يفعل ، ثم ما يلبث أن يهدد بانتحار جماعي عن طريق الحرق الذاتي .

تحس بالرهبة والدهشة في نفس الوقت ، تستيقظ كل حواسك ، ويتردد داخلك صوت قوي :» المكفوفون أقوى منك لهم إرادة ويعرفون ماذا يريدون «

تتقدم خطوات إلى الأمام ، تصبح وسط الجماعة المحتجة ، تشاركهم الاحتجاج ..فجأة تخطف قنينة بنزين وولاعة من أحدهم ثم تصرخ وأنت تصب البنزين على جسدك :» الآن سأقوم بعمل جبار ، سأدخل التاريخ وأخرج من عالم القطيع «

وقبل أن ينتبه إليك أحد كانت ألسنة اللهب قد بدأت تأكل جسدك ، وكان الصراخ يأتي من كل مكان ، ورجال الأمن يحيطون بك محاولين إطفاء النار ، أما رجال الصحافة فكانوا يلتقطون صورا لك وأنت تحترق...!!!

21دجنبر 2011

قتل مع سبق الإصرار

ظل ينظر الى جثتها بصمت..كان قد انتهى لتوه من خنقها..قال لنفسه» انا لست نادما على شيء.. إنها تافهة وتستحق ما فعلته بها ..لسانها سليط , وسلوكها مقيت..ترى كيف سلخت معها أكثر من نصف عمري دون أن أنتبه الى بلادتها , وسوء تقديرها للأشياء ؟؟؟كيف تقبلت أفكارها الغريبة وتصرفاتها المثيرة للسخرية ..؟؟».

أشعل سيجارة , نفث دخانها بهدوء..اقتعد أريكة مواجهة لجسدها الملقى في صالون البيت..بدا له المكان غريبا , وكأنه لم يقض به أكثر من نصف عمره ..هنا رزق بولده الوحيد , الذي يعيش بأرض المهجر منذ سنوات ..هنا عاش أحداث الوطن وتفاعل معها ..الإنقلابات الفاشلة..الإضربات الدموية ..حرب الصحراء وظلم البلد الجار..رحيل الملك الفجائي وحزن الشعب الكبير عليه.. سقوط الوزير الحديدي..

هنا تجرع كأس المرارة وعاش هزائم العرب المتواصلة أمام إسرائيل و أمريكا ..هنا بكى جمال وعرفات وصدام ..هنا عاش حياته الخاصة وتفاعل مع محيطه , وهنا خنق شريكة عمره..لا يهمه الآن ما سيحدث ..الأمور عنده سيان ..غدا سيذهب الى مخفر الشرطة ..سيقول لهم « أنا قاتل, نعم أنا قاتل ..الأمر في غاية البساطة ..زوجتي ا ستفزتني , طلبت منها الصمت , لكن لسانها السليط لم يسعفها , تسابنا ..تشاتمنا, قلنا لبعضنا

كلاما جارحا ..ثم أمسكنا بتلابيب بعضنا كعادتنا عند كل خصام , وبدأنا في التجاذب والتدافع ..كان صراعنا عنيفا ..قلت لها أنت حشرة ليس إلا ..سأريحك وأريح نفسي منك , أمسكت بعنقها وصرت أضغط دون هوادة , حتى خفتت أنفاسها وتهاوت على الأرض ..لم أشعر بالأسف أو الندم ..كان يجب أن تموت وقد قتلتها وأنا في كامل قواي العقلية ...

اكتبوا ماشئتم في المحضر , وسأوقع دون تردد , فإن كانت هي ماتت مرة ..فقد قتلتني مرات..دبحتني من الوريد الى الوريد..شربت دمي ونهشت لحمي...

قام من مكانه..إتجه صوب النافذة ..وقف لحظة ثم عاد أدراجه نحو الجثة المسجاة امامه ..صرخ باعلى صوته.. لماذا فعلت بي هذا ؟؟ لماذا حولتيني بربك الى وحش كاسر ؟؟؟لماذا حطمت مسار حياتي بهذا الشكل؟؟؟

أحس بدوار غريب , في رأسه تمنى لو أن الزمن عاد الى الوراء , وإ ستطاع إمتلاك ناصية أمره فيغير مجرى حياته تماما ..لكن هيهات هيهات..فما كان قد كان , وقدره سيواجهه بشجاعة سواء كان مؤبدا أو إعداما ..وستستمر الحياة على كل حال ..سيعتذر لإبنه ويطلب صفحه وتقدير ظروفه..

دوى صوت الآذان محطما سكون الليل الذي كان في ثلثه الاخير ..توضأ ثم صلى ..وطلب من الله ان يغفر له ما اقترفت يداه.

غادر البيت نحو مخفر الشرطة ..كان يهذي بكلام غير

مفهوم وهو يهرول غير آبه بأحد..وكلما قطع مسافة من الطريق , تزايد هذيانه , الذي أصبح صراخا وهتافا قويا..»
ايها السادة..يا أهل المدينة الكرام ..لقد قتلت زوجتي ..خنقتها ..كتمت أنفاسها , لأنها جعلت حياتي نكدا في نكد «
عندما دخل مخفر الشرطة , كبر وهلل ثم أعلن الخبر بصوت جهوري ..دون الضابط أقواله في محضر ..ثم استدعى رجلي أمن وطلب منهما التحفظ عليه..
بعد حين أركبوه سيارة الشرطة , ثم قصدوا مكان الحادث ..» لقد كنت زوجا مثاليا..لم أخنها قط ..أسعدتها قدر المستطاع ..لكنها لا تستحق ..حطمتني ..انا لا يهمني ما ينتظرني ..».كان رجال الأمن يستمعون الى كلامه ببرود وصمت..عندما وصلوا الى بيته..كان الشارع فارغا ولا شيء يوحي بأن جريمة قد اقترفت, وروحا قد أزهقت, نزل متثقلا والأصفاد تكبل يديه. سأله الضابط :
-هل تسكن هنا؟؟
رد بصوت خافت:
- نعم في الفيلا التي توجد أمامكم ..
دلف الجميع دفعة واحدة ..عبروا دهليز الفيلا ..ثم ولجوا الصالون. سأله الضابط :
- أين جثة زوجتك..؟؟
رد وهو يشير الى مكانها :
- هناك ..
قاطعه الضابط بغضب:

- أين ؟؟ أنا لا أرى شيئا ..!!!
لم تكن هناك جثة..صرخ بصوت قوي:
- لكنها كانت هنا..بيدي خنقتها..أنا لا أكذب
إندفع رجال الأمن الى باقي غرف البيت يفتشون عن جثة زوجته ..دون ان يجدوا شيئا..
قال الضابط :
-إسمع يا هذا ..أنت تزعج السلطات وتقدم معلومات كاذبة ..وهذا فعل يعاقب عليه القانون ..
- لكنني خنقتها..قتلتها بيدي هاتين..
قاطعه الضابط:
- أنت مخبول ..لابد من إحالتك على مستشفى الأمراض العقلية ..
وعلى حين غرة فتح الباب , ودخلت سيدة في أواسط عمرها , تحمل قفة صغيرة ..
- ميمون أين كنت ..ومن هؤلاء الذين معك؟؟!!
- أنت مازلت حية ..!!!
-ما هذا الكلام الغريب الذي تقول.
تدخل الضابط موضحا :
- زوجك قدم بلاغا يدعي فيه أنه قتلك..وقد جئنا لمعاينة الواقعة..
ابتسمت المرأة وقالت:
- قدم بلاغا..!!
- لقد خنقتك بيدي هاتين..قتلتك بلا رحمة..
قاطعه الضابط :

- لابد من إحالتك على مستشفى الأمراض العقلية
وساندته المرأة قائلة
- هذا عين العقل فقد يفعلها..بحق وحقيق..

12/12/2008

ليل حزين

ليل مدلهم قاتل، وخطى شاردة على أرصفة الضياع.. وفراغ ..فراغ متناسل، وربما شعور بالعدمية، ليس هناك من قدرة على التفكير في شيء، بل بلبلة فكرية وتبدّد ذهنيٌّ مقيت، هكذا أحسَّ وهو سارح بين شوارع المدينة كالخفاش، يبحث عن أشياء يريدها أن تحدث، وأشياء حدثَت ولم يكتشفُها إلاّ بعد حدوثها..هذه المدينة العاهرة لم تمنحه قط ولو جزءً يسيراً من الفرح، فعلى أفاريزها تقام مشانقُ يومية لأحلامه، ثم تدفن في عين المكان، « يا لطيف ألطفْ بعبدك من شر هذه المدينة اللئيمة... واحميه من ألسنة لهيبها، يا رحمة السماء ما هذا البؤس المتنامي الذي يتوالد كالفُطر حولي، فيشيع جوا من الكآبة واللاّمعنى».

ليس هناك ما يَشدّه إلى هذا الليل المتعب الطويل، فغربته مستمرة وهَا مِشيّته تكاد تُلغى كل إحساس لديه بالوجود، «ليس هناك ما يُذكر ، إلا ليالي الألم وأيام الوخز، كل مرة أستقبلُ أشكالا جديدة من الحزن، وأغرق في أزمات لا حدود لها من الأسى، يا زمن الفظاعة ..ما أبشعك ، قهرتَني حطّمتني، أتلفتَ أعصابي، فلم أعد أدري من أنا».

أخرج علبة سجائره، ووضع لفافة تبغ بين شفتيه ثم أشعلها ونفث دخانها بشراهة... وتابع سيره دون هدف أو غاية... أحس بالبرد يتسلل إلى جسده النحيف، رفع ياقة قميصه، فكر لحظة : قليلٌ من الجعة يمكن أن يمنحه بعض الدفء!!!، دخل أول حان صادفه، تسربت إلى خياشمه

رائحة دخان السجائر، وصَمّتْ أذنيه أصواتُ السّكارى وقهقهاتهم المتداخلة مع أنغام اللحن الشعبي المجلجل في فضاء المكان، جلس بمواجهة الساقية السّمينة التي كانت تقف خلف الحاجز الخشبي، طلب ست جعات، فأسرعت تلبي طلبه، احتسى الأولى ثم الثانية، ومرت نشوة غريبة في أوصاله، وقال لنفسه «ليذهب المجتمع وقيوده إلى الجحيم» ثم واصل الاحتساء، حتى آتى على الزجاجات الست.. أشعل سيجارة نفت دخانها ببطء، وراح يمسح بعينيه المتعبتين فضاء القاعة.. كانت هناك وجوه مكدودة، فضل أصحابها ممارسة لعبة الهروب إلى الأمام، وكانت هناك ثرثرة وعربدة، ورؤوس تتمايل مع اللحن ،وجاءه صوت مبحوح من خلف ظهره:

- هل أنت وحيد؟؟

التفت نحو مصدر الصوت، فوجد أمامه مومسا ضامرة العود قد لطخت وجهها بالأصباغ حتى صارت أشبه بمهرج سيرك وأجاب:

- نعم وحيد، وأفضل أن أبقى وحيدا.

- ابتعدت عنه، دون أن تعلق على كلامه.. طلب ست زجاجات أخرى، أقبل عليها بنهم مفرط، وأحس بعقدة لسانه تنفك، وانتابته رغبة قوية في الكلام، وقول أي شيء، وغابت كل المنغصات عن باله..

التفت نحو جاره وكان شابا أنيقا، وقال بصوت عال؟

جوع آخر

عميق جدا وكاسر

أكثر حمرة من الموت وأكثر صخب
الجوع لامرأة أستطيع أن أضع وجهي بين نهديها
وأعرف أنهما قد أُعطياني إلى الأبد
وأنني لن أجوع أبدا
ضحك الشاب وقال:
- أنت تقول شعرا.
رد عليه وهو يبتسم:
- إنها أبيات من قصيدة مانفيستو للأديب الإنجليزي «لورنس»... لابد أنك سمعت عنه.
إنه صاحب رواية «نساء في حب».
ورد الشاب:
- بكل صراحة أنا لا أعرف لورنس، لكن شعره جميل عرض عليه سيجارة... قبلها مبتسما، ثم مضى ينفث دخانها، وهو يضرب الأرض بكعب حذائه..
مر الوقت سريعا.. وعندما غادر الحانة كان الليل في منتصفه.. وازددت رطوبة الجو.. أحس بمغص شديد في بطنه.. توقف فجأة ثم اتكأ على أحد الجدران وقذف ما في جوفه، شعر باختناق رهيب، وانسابت الدموع من عينيه.. حاول التماسك ووقف على الرصيف محاولا البحث عن سيارة تاكسي تنقله.. وفجأة غمرته أضواء كاشفة قوية.. تبين له فيما بعد أنها لسيارة كبيرة.. وسرعان ما وجد نفسه في مواجهة شرطين.. قاداه إلى داخلها.. وسمع أحدهما يصرخ به.
- أنت في حالة سكر طافح
فرد بصوت خافت

- بل أنا مريض... أريد الذهاب إلى المستشفى..إنني أحتضر!!!

خربيكة1991

عبير الماضي

عندما استيقظت هذا الصباح، اكتشفت أن تغييرات مثيرة قد طرأت على جسدي ، فأنا لم أعد ذلك الكهل الثخين الذي يجد صعوبة الحركة ، ويواجه مشاكل جمة في التنفس ،فقد وجدتني استعيد الكثير من نشاط الشباب ، ورشاقة الأيام الخوالي ، اندفعت نحو المرآة المنتصبة في بهو الشقة ، وإذا بي أمام منظر غير قابل للتصديق ..جسم رشيق ومتناسق ، وشعر أسود فاحم ينسدل على جبيني الوضيء، ومحيا مشرق يفيض حيويّةً..ابتسمت ، ثم تراجعت إلى الخلف ،واستلقيت على إحدى الأرائك التي تتوسط الصالون ، بحث في جيب جاكيتتي عن علبة سجائري الخاصة ..كانت مفاجأتي كبيرة حين وجدت غليونا وحق تبغ مكانها ، حشوت الغليون بالتبغ ، ثم أشعلت النار بولاعة ذهبية كانت موضوعة فوق طاولة الإبنوس الموجودة أمامي ، نفثُ دخان الغليون بنشوة، قلت لنفسي : لعل شيئا مثيرا يحدث في هذا العالم الحزين ؟..وتساءلت : « ما سر العودة إلى مرحلة ظننتهاانتهت إلى غير رجعة ، ، وهل ما يحدث لي الآن معزول ، أم أنه يمس كل الناس ؟؟»

اتجهت صوب النافذة ، فتحتها ، وقفت مشدوها لما رأيتُ .. المكان غير المكان ، والزمن خارج نطاق الاستيعاب « أنا الآن أطل على فضاء غريب عليّ ، شارع شبه خال ، وسيارات قديمة تذكرني بطفولتي ، تُبتُ إلى نفسي وبحث عن هاتفي الخلوي فلم أجده ، كذلك اختفت كل الأجهزة الإلكترونية، من قبيل جهاز التلفاز المسطح ،

وجهاز الدفيدي ، وحل محلها جهاز راديو قديم بإطار خشبيّ، وفجأة وقعت عيني على يومية «بوعياد» مثبتة على الجدار ، اقتربت منها ببطء وحدقت في التاريخ الذي تحمله ورقة اليوم : ١٠يوليوز ١٩٧١، هرولت إلى غرفة النوم أبحث عن زوجتي و إبني فلم أجدهما ، غرفة النوم نفسها كانت معالمها متغيرة ، وليس فيها أي شيء من الأثاث إقتنيته صحبة زوجتي منذ شهور ، في الغرفة المجاورة كانت تنتظرني مفاجأة غير متوقعة ، فقد وجدت والدي ووالدتي بمسكان بمذياع صغير وهما ينصتان إلى إذاعة «لندن» قال والدي : لقد فعلها العسكر ..قتلوا العشرات من الابرياء في قصر الصخيرات الملك مصيره غير معروف «،وقاطعته أمي مولولة : « اللعنة على المذبوح وعبابو ، وكل من تسبب في هذه المجزرة ، لقد نسوا أن الملك خليفة الله في أرضه «.....

تركتهما وعدت مبهوراإلى بهو الشقة ، اتجهت من جديد صوب النافذة، اكتشفت أن هناك سيارة عسكرية مذرعةتقف وسط الطريق ..وفي تلك اللحظة سمعت صوت طائرة مروحية تحلق في الفضاء ، وأزيز رصاص يحطم سكون المكان، شعرت برعب وخوف كبيرين ، وسألت نفسي بإلحاح قوي : « ماذا أفعل أنا هنا ؟؟وما سر هذه الأحداث التي أعيشها كحاضر قائم ، بعد أن طواها الماضي ، وابي الميّت منذ عشرين عاما كيف يستيقظ من رقدته الأبدية ويصبح من الأحياء ؟؟؟ وأمي التي تعيش بالديار الإيطالية عند أختي ..كيف تقطع كل تلك

المسافات البعيدة لتحضر إلى هذه الشقة الغريبة ؟؟
استعدت بعضا هدوئي ثم اقتربت من جهاز الرديو القديم ،وادرت زر التشغيل ، انساب صوت عبد الوهاب الدكالي وهو يؤدي أغنيته الشهيرة «حبيب الجماهير «، وفجأة تم توقيف الأغنية وتدخل المذيع بصوت جهوري : « أيها المواطنون أيتها المواطنات ، جميع الأخبار التي تردكم عن الملك لا أساس لها من الصحة ..جلالة الملك بخير»..
ودون وعي مني اندفعت نحو الغرفة التي كان بها والدي وهتفت بهما :
- الملك بخير ..إذاعة طنجة أعلنت الخبر
أسرع والدي يدير زر البحث عن الأمواج الإذاعية ..كرر المذيع الخبر ، وتدخل عامل الإقليم ليقرأ بيانا يؤكد نجاة الملك ، وفشل الإنقلاب، أطلقت امي زغرودة مدوية ، وقال أبي بصوت متأثر ، وعيناه تترقرقان بدموع الفرح :
الحمد لله على موت الفتنة في مهدها ، اللهم احفظ بلدنا من مكر المخربين
للمت نفسي وقررت أن أترك هذه الشقة ، علني أخرج من شرنقة الماضي السحيق الذي وجدتني مشدودا إليه دون رغبة مني ،
عندما أصبحت بالخارج تنفست الصعداء، والتفت في كل الاتجاهات أستطلع ما يدور حولي ..لكن ما أشبه الداخل بالخارج فالزمن ثابت لا يتغير ، والمنظر العام محاصر بعبق السبعينيات ، سألت أحد المارة عن الحي الذي أتواجد به ، فأخبرني وهو يسرع مبتعدا «هذا حي

المحيط» إذن أنا في الرباط .
اِنطلقتُ استحث الخطى على غير هدى ، أبحث عن نفسي وذاتي في زمن لم اَختره ، ومكان لم أعش قط بين ظهرانه..بعد طول سير وجدتني في حسان ، قطعت شارع الجزائر ، حتى ساحة بيتري ، اشتريت باقة ورد من «مارشي النوار»، وفجأة لا حت لي دبابات وسيارات مصفحة ، تذكرت أن صراعا داميا قد دار بين الإنقلابيين والقوات النظامية للجيش في محيط الإذاعة والتلفزة. انتهى بسحق التمرد ومقتل عبابو ..انقضى من الوقت ردح وأنا أقف على ناصية الشارع غارقا في شرودي ، وعلى حين غرة دوى انفجار قوي بالقرب مني ، تلته لعلعة رصاص من كل الجهات. فهرولت هاربا ، لا ألوي على شيء، وكان أشخاص آخرون مرعبون مثلي يركضون طلبا للنجاة ، وفي لحظة مثقلة بالخوف خارت قواي ، ولم أعد قادرا على التحمل ، فتهاويت على الأرض، وفقدت الوعي تماما. لكن صوتا دافئا قادما من بعيد رنَّ في أذني ، ولمسة حنان من يد لدنة ، أعادت لي صلتي بالعالم ..كان الصوت لزوجتي وهي تقول :
- ماذا دهاك يا حمادي ؟؟يبدو أنك تهدي بكلام غير مفهوم
فتحت عينيّ بصعوبة ، نظرت حولي ، كانت زوجتي تجلس تحت واقية الشمس ، وكنت أنا ممددا فوق الرمال الساخن بلباس البحر ، هتفت بزوجتي متسائلا :
-أين أنا؟؟

ردت زوجتي بصوت ساخر:
-أنت في شاطئ الصخيرات ويبدوأن ضربة شمس قد نالت منك..
تخطيت ذهولي ، وقمت من رقدتي ، أزحت حبات الرمل العالقة بجسمي ، ثم اِتجهت صوب البحر ، وألقيت بجسدي في مياهه الدافئة ، انتابتني رعشة لذيذة اِمتزجَ فيها عبق الماضي بعبير الحاضر.وسرعان ما سرى تيارها في كل حواسي وراح يتنامى حتى وصلت درجة مطلقة من الشعور بالذات..

أبريل 2011

أُهدي هذا النص إلى والدي الحاج مسعود محضار ، الذي كان يعشق إذاعة «هنا لندن» وصوت أمريكا ، وصوت القاهرة ، رحمه الله وغفر له ولكل أموات المسلمين. فما الحياة إلا معبر إلى دار الخلود والبقاء

ثمن الكرامة

الشمس قرص أحمر يحتضنه الأفق, وأشعتها المحتضرة تسربل خطا ك الوانية , وأنت تسير على الكورنيش, البحرثائر, أمواجه العاتية تزأر بوحشية , قدماك تنوءان بحملك تودان لو تخلتا عنك .
استند الى حا ئط الكورنيش , القصير بمرفقيه, ألقى ببصره جهة البحر, الخمول ينشر قلاعه ملء جسده الواهن .الصبر ما الصبر ؟ انه لعنة تحل بالمرء تحطمه تقوده الى الهاوية.
تتحسس قسمات وجهك الشاحب بأنامل يدك النحيفة, الشعور بالهزيمة المرة يزحف في وجدانك, وقلبك المعذب يخفق باضطراب .
عاود المسير كانت تدور برأسه أفكار من نوع غريب, هلوسة وشبه هذيان ...أنت منبوذ وضعيف أمثالك من ذا الذي يحس بهم, من ذا الذي ينتبه إليهم ..
الطريق يمتد ويطول تحت قدميك..والعمارة التي تحتوي شقتك الصغيرة تلوح..السخام يلوث أعلاها .والرطوبة تمد اخاديد متعددة على جدرانها .

صعد السلم في تخاذل فتح باب شقته , دلف داخلا, ضغط على زر الكهرباء فتبد د الظلام المدلهم الذي كان يملأ المكان, تعثر في خطاه قبل ان يرمي بجسده الواهن على الاريكة الجلدية الوحيدة الموجودة بشقته, مدد قدميه الى الامام واستند الى متكأي الاريكة .
كم يصعب التأقلم مع ظروف هذه الحياة التي تبدو

عسيرة ومعقدة.
تشعل سيجارة تنفث مع دخانها كل كوابت كيانك الجريح, تكبر كآبتك, وتنداح في كل مكان حولك ,يفلت من يدك عقالها لا تدري لماذا يحدث هذا ؟؟؟ المهم انه يحدث وكفى , أنت تتعذب والإنفصام اللعين يفرض نفسه ضيفا ثقيلا علي شخصيتك , فتصبح شخصين في شخص واحد , تتملق في النهار وتثور في الليل, تبش وتظهر الاحترام المتكلف لرؤسائك اثناء العمل , وتلعنهم عندما تعود الى شقتك , لك وجهان اذن ومن يدري قد يصبحان ثلاثة اوحتى اربعة حسب الظروف والاحوال.
طرقات خفيفة على الباب تهادت الى أسماعه. مرت هنيهة قبل أن ينهض ..فتح الباب..دوت ضحكة نسائية رخيمة , نظر إلى الواقفة أمامه..نعيمة بكل سحرها وشقاوتها.
شم رائحة الخمر في فمها عندما طبعت على خده قبلة..
-تفضلي ..ادخلي , عاش من شافك, أطلت الغيبة هذه المرة ..أنسيتِ أنك وعدتني بالزيارة عند مطلع كل شهر , وها أنت تغيبين ثلاثة شهور .
ابتسمت , رنت اليه بعينيها النجلاويين ', ثم اندفعت داخلة , تبعها من الخلف بعد ان أغلق الباب, خلعت ثيابها دون ان تنبس بكلمة , ثم دخلت الفراش ونظرت نحوه تدعوه الى الاقتداء بها , فلم يتوان عن تلبية

ندائها الصامت, وبعد حين أصبح بالقرب منها يسري في جسده دفء من الشهوة الحمراء , التحما لحظة , ثم تركا بعضهما بعد الوصال, استندت برأسها الى صدره الكثيف الشعر وغرزت اناملها الرقيقة بين خصلات شعره الطويل تداعبها بحنان

تشعر بفرح طاغ يزخر به قلبك , الحياة تحولت فجأة الى ابتسامة على شفتي نعيمة , والوجود صار لمسة حنان توقعها أناملها الرقيقة على جسدك الواهن , وجهها الساجي حطم صخرة الروتين التي ظللت تنوء بها طيلة هذه الشهور التي باعدت خلالها الأيام بينكما, حقا هي مومس لكنها مثقفة ومتعلمة ' ولعل هذا ما يجعلك تحترمها الى حد كبير.

سألها ضاحكا

- لم تقولي اين كنت خلال هذه المدة ؟؟؟

- هل تصر على معرفة الحقيقة ؟

- اذا كان ممكنا

- الحقيقة كنت خارج ارض الوطن

- خارج أرض الوطن..

- نعم ..فقبل شهور تعرفت على ثري خليجي بأحد الملاهي الليلية...دعاني للسفر الى إشبيلية , فوافقت وهناك عشت أياما باذخة ..تصور أن صاحبنا كان يشعل لي احيانا سجائري بورقة بنكية.

- شئ مثير حقا

- وعندما عدنا الى الوطن منذ اسبوعين, أصر على ان

نعقد قراننا فوافقت تحت طائل إلحاحه.
- إذن أنت سيدة متزوجة الآن ..
ضحكت وقالت:
- تقريبا.
- ماذا تعنين بهذه التقريبا ؟؟؟
- الحقيقة أن زوجي إتفق معي على ان يأتي للمكوث معي شهرا واحدا كل سنة , وقد اشترى لي بيتا وفتح لي حسابا بنكيا جاريا , وابتاع لي سيارة فاخرة..
- اذن اصبحت غنية
- كل هذه الاموال لا تساوي شيئا امام ضمة واحدة منك
- حقا
- ألا تزال ترفض أن تصدق أنني أعبدك ...إنك قدري الذي لا أستطيع الفرار منه.
ران الصمت عليهما لحظة , لكنها سرعان ماكسرته وشفتاها تونقان بابتسامة عريضة ..
- يمكنك أن تختار شقة مناسبة لمقامك وسأدفع إيجارها ....ستكون عشنا الذي نأوي اليه..
حدجها بنظرة ثائرة وقال:
- لا أستطيع ان ألبي طلبك .
زوت ما بين حاجبيها وتمتمت بنبرة حزينة
- هكذا تكسر خاطري
- لم أقصد ولكن....
قاطعته مبتسمة
- لا تقل شيئا ..لقد أويتني من قبل وخيرك سابق..أريد

أن تتمتع معي بأموال الخليجي ..
- لكنها متعة ثمنها كرامتنا معا..
- أرجوك لا تتحدث عن الكرامة وشطب عليها من قاموسك اللغوي ..فهي لم تعد الا لفظا أجوفا لا خير يُرجّى منه ..
لم يقل شيئا اكتفى بضمها الى صدره وطبع على شفتيها قبلة حارة....

1986فبراير

الملك لله

ركبنا «الترام واي « من «شارع فرنسا أكدال»قال لي السي المعطي : « الرباط تغيرت كثيرا ، هناك أشياء جديدة تحدث «، ابتسمت وقلت : «فعلا هناك أشياء كثيرة تحدث .. إحتجاجات بالجملة ، وتكنولوجيا متطورة بالمقابل «.

كان الركاب ينتمون لشرائح مختلفة ، وكانت الثرثرة سمة مشتركة بين الجميع ..سمعنا إمرأة تحكي عن حادثة إصطدام وقعت هذا الصباح بحي كريمة، بين سيارة أجرة وقطار الترام واي ..كانت تقول لصديقتها بانفعال:»الله يستر ، أصحاب الطاكسيات لا يحترمون القانون ، ها هو خرج على راسو وعلى الناس اللّي معاه». وردت صديقتها : « احنا بزاف علينا التكنولوجيا ..خاصّنا نتعلمو بعدا القانون».

وقال رجل ملتح وهو يوجه الحديث لزوجته المنقبة :» قبح الله المتشبهات بالرجال» وعيناه ترمقان فتيات تلبسن سراويل لاصقة ، تبادلت النظرات مع السي المعطي ،ابتسمنا ونحن نرى عينا الرجل الملتحي تَشِيان بشهوة مضطرمة ، وهما تلتهما ن أجساد الغيد الواقفات أمامه.

كان القطار يسير بسرعة ، وكانت المناظر تنساب إلى الخلف ، وكنت أعيش لحظة إ سترجاع لذكريات سنوات ماضية في أحضان الرباط ، وكان السي المعطي القاطن بالمدينة منذ ثلاثين سنة يحدثني عن مشروع «المرينا» وعن القنطرة الجديدة المقامة فوق نهر أبي

رقراق . ونفق الأودية الجديد . كنت أصغي إليه باهتمام وعيناي تتابعان المشاهد المتحركة عبر زجاج النافذة .
عندما وصل الترام إلى محطة صومعة حسان نزلنا ،
قال لي السي المعطي: « ملحقة الكنوبس وصيدلية الدواء توجد ببارو كبير . المكان قريب من هنا .
كانت المرة الأولى التي سأزور فيها المكان ، تابع السي المعطي موضحا : « جميع المغاربة المصابون بالمرض الخبيث يقصدون الملحقة للحصول على الدواء ..الله يشافي الجميع «
علقت باستغراب : « وأين هي الجهوية ، هم يجتهدون فقط في الاقتطاعات ، والضرائب المرتفعة ، قال السي المعطي : « لن تتمكن من الحصول على الدواء لقريبتك اليوم ، ستدفع الملف ، وتنتظر الموافقة غدا ..هذا هو النظام ، قاطعته ضاحكا : « البيروقراطية حاضرة في كل مكان وزمن «
كنا قد وصلنا شارع الجزائر ، سمعنا ضجيجا ولغطا في أحد المقاهي ، ورأينا أشخاصا يقفون متطلعين إلى شاشة تلفاز كبيرة في الباحة ، ظَنننَا الأمر يتعلق بمبارة في كرة القدم ..لكننا سمعنا كهلا يقول لصاحبه « قُتل القذافي وابنه ..لم يرحمه حزب الناتو والثوار»..
قال لي السي المعطي « اللي بغاها كلها يخلّيها كلّها «
قلت وأنا أبتسم : «قل اللّهم مالك المُلك تُؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذلّ

من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، صدق الله العظيم «..

تابعنا سيرنا نحو ملحقة صندوق الاحتياط الإجتماعي ، وصورة القذافي وهو يتوسل لقاتليه ما تزال ماثلة أمام عيني...

أكتوبر 2011

بلا عنوان

كانت تجلس منفردة بمقهى «الشمس» وقد استقرت على منضدة قابعة في ركن قصي مولية وجهها اتجاه الحائط المكسو بالورق المزخرف، حين بزغ أمامها بقامته الفارغة وطلعته الوسيمة، ألقى إليها بالتحية وهو يجذب الكرسي المجاور، ثم جلس بمواجهتها، تبادلا النظارات هنيهة، ثم قال وهو يسعل بافتعال:

- اعتذر عن التأخر.. فقد كان أمامي شغل قمت به قبل أن آتي إليك.

ردت بصوت راجف

- ظننتك لن تحضر.

وهل يصح هذا يا عزيزتي أنا إنسان يحترم مواعيده، لكنك تغيرت كثيرا في هذه الأيام الأخيرة.. لم تعد ذلك الإنسان الذي عرفته لأيام خلت، لم يعلق على عباراتها، مطط شفتيه، وعقد ما بين حاجبيه ثم شبك يديه إلى بعضهما، وظل ينظر إليها بصمت، تابعت الحديث بنبرة مضطربة:

- أتساءل لماذا تفقد أغلب علاقاتنا الإنسانية بريقها بسرعة، وتتحول إلى روتين قاتل.. وتصبح المجاملات والتكلف هما دعامتها الأساسية؟

- ربما كان للزمن دخل في ذلك فنحن.. خاضعون لناموس تطور يقضي بتغيرنا.. إننا نتغير رغم أنوفنا، نحن ضعفاء لا نملك نواصي أنفسنا، عقدت يدها على صدرها.. بدا وجهها شاحبا ترعى بين تقاسيمه ظلال

الكآبة والحزن، أحست برعشة غريبة تسري في جسدها بللت شفتيها الجافتين بلسانها وظلت تنظر إليه بصمت، تابع كلامه بتوتر:

- أنت تعلمين أن حبي لك ثابت.

قاطعته غاضبة:

- هذا مجرد كلام أجوف تطلقه على عواهنه، أنا أعلم أنني تقادمت ولم أعد تلك التحفة التي تستهويك، لقد شبعت مني وصرت في نظرك مجرد تراث تقتضي منك أصول اللياقة، احترامه إلى حين، قبل أن تنفض يديك منه إلى الأبد.

- أنا أحبك

الحب تضحية.. وأنا ضحيت بكل شيء من أجلك، لكنك لم تفعل شيئا من أجلي.

- ماذا تريدينني أن أفعل؟؟

لقد أجببتك وكفى

اعترتها فجأة موجة سعال حاد، فمالت برأسها إلى مسند المقعد، وهي تضع يدها على فمها، أحست برغبة قوية في البكاء، لكنها كظمتها وقالت:

- حبنا يختنق، وما يلبث أن يسلم الروح، ونفترق، لقد خمنت له هذه النهاية منذ مدة.

لا تقولي هذا.. كوني عاقلة حبنا حي يرزق ولابد أن نستمر..

- نستمر.. طبعا نستمر في الظل .. أليس هذا ما تريده؟؟

ها أنت ذي تعزفين مرة أخرى على وتر الزواج.
ماله الزواج أتراه يفزعك إلى هذا الحد؟؟
- طبعا لا.. لكن..
قاطعته وعلى شفتيها ابتسامة سخرية:
- لكن أنت ابن عائلة كبيرة ووالدك تاجر كبير لن يرضى لك بفتاة مسحوقة مثلي، أبوها يشتغل بوابا لإحدى عماراته..
- أنا لم أقل هذا؟؟
- لكن سلوكك يقوله وتصرفاتك تنطقه، أنت وأنا نقيضان، ولقاؤنا أصبح مستحيلا.. الطبقية شيء يسبق الحب وكل العواطف النبيلة.
لملم شتات نفسه، بدا عليه الاضطراب، أحس أن ما فاهت به صحيح تماما، ولا يمكن بأي حال قول عكسه، الطبقية غول أسطوري تصعب مقاومته وتتحطم عند جبهته كل القيم الأخلاقية ويصبح السمو والفضيلة والتآلف مجرد هراء، مجرد كلام لا معنى له، إنه يدرك أن عقله يرفض فكرة الإرتباط بها من الأساس، رغم أن قلبه مندفع نحوها بشكل جنوني، تقاليد طبقته لن تسمح له أبدا بربط مصيره بمصيرها، وإلا سوف يضطر إلى الإنتحار طبقيا وهذا شيء لا يستطيع تحمله لأنه مشوار مفتوح نحو المأساة وطريق مفروش بشوك الفقر، إن أفراد طبقته لا يمانعون أبدا في قيام علاقات من هذا النوع، لكن في حدود معينة لا تصل إلى درجة الزواج.. حدود لا تتجاوز المتعة الجسدية..

سألته وهي تدفع إلى الخلف خصلة من شعرها الكستنائي، انسدلت على جبينها:
- أين غبت؟
- أنا معك.. لم أغب..
- تبدو شاردا فيم تفكر؟!
- أنا لا أفكر بشيء...
لم تكن له الجرأة والقدرة الكافيتان ليجهر برأيه، ويعري عن ذاته أمامها.. كما فعلت هي، أمسكت يده فجأة، أحس دفئا غريبا، علقت أنظار كليهما بالآخر قالت وهي تبتسم:
- أعلم أنك تتعذب مثلي.. عقلك مع ناسك وأهلك وقلبك معي أنت ضحية لتناقض خطير، من الخير لنا أن نترك بعضا، لم أعد قادرة على تعريض سمعتي إلى الوشوشات والكلام الطاعن.
- ولكنني أحبك.
- أصدقك لكن العمر يهرب بي، ولا أريد أن يحكم علي حبك بالعنوسة.. لابد أن أتزوج وأصبح أما.. إنه طموح كل امرأة تمشي على وجه البسيطة.
- إذن تخبذين الفراق.
رشفت من فنجان القهوة الباردة، الذي كان أمامها، مسحت بعينيها الذابلتين فضاء المقهى ثم مدت يدها تأخذ حقيبتها من على المنضدة وهي تقول:
- أظن أنني سأودعك الآن.. وأتمنى لك سعادة كاملة مع إحدى بنات طبقتك.

قامت من مكانها.. ظل هو صامتا، تبادلا نظرة قصيرة، مدت له يدها مودعة ضغط عليها بحنو، تلألأت في عينيه دمعتان أسرع يمسحهما وهو يقول:

- وداعا..

خرجت.. تابعها بأنظاره حتى غابت، انتابتها فجأة موجة شوق كبير إليها، وانهالت الذكريات من كل جانب.. صعب جدا أن يفقد المرء إنسانا محببا إلى قلبه وينساه بسهولة، فثلاث سنوات من الحب لا يمكن أن تطمر وينتهي أمرها بهذه السهولة!!

1987 يونيو

الحفرة

شاع الخبرفي المدينة , وانتشر بسرعة غريبة , الجميع يتحدث عن السهرة المنتظرة للفنان الكبير شرشور بو كرن الذي حطم ارقاما قياسية في شبابيك التذاكير, وخصص له الناقد المجيد حمان بو قرعة دراسة نقدية اعتبرها الراسخون في الفنون الشعبية فتحا مبينا في النقد الفني, لأنها تكشف سر تطويع الفنان بوكرن للكمنجة وجعلها في خدمة هز الوسط وتحريك الأ رداف في كل الإ تجاهات دون موانع ولا توابع..

وقبل يوم من السهرة الهامة..طافت سيارات الجماعة بمكبرات صوت قوية..تعلن الخبر السعيد لسكان مدينة العمارية التليدةو تدعوهم الى الحضور بكثافة لملعب سباق البغال والحمير , الذي تم تدشينه في مدخل المدينة منذ شهر , للاستمتاع بصوت الفنان الأصيل بوكرن, وأنغام كمنجته الشجية .

قالت الحاجة فنيدة لجارتها أم هاني :

- أحياني الله حتى ادركت كمنجةسيدي بوكرن ..و استمتعت بأنغامها الشجية

زوت أم هاني مابين حاجبيها ورفعت يدها مؤكدة, :

- سهرة الفنان سيدي شرشور بوكرن لن تمر دون ان نحضرها

قاطعتها الحاجة فنيدة مبتسمة:

-لقد وعدني حفيدي بأن يرافقني الى الحفل ..ستأتين معنا أليس كذلك؟؟؟

- لامانع عندي ألعزيزة...
وعند ناصية درب الرحمة تجمع نفر من الشباب, يعدون العدة لحضور السهرة المعلومة , بعد أن تقاسموا المهام , فقال حميد الجعيبة :
- لقد أعددت كل وسائل التشجيع من لافتات وأعلام ..
وقال فوزي القوبعة:
-أما أنا فقد قمت بشراء كمية مهمة من ماء الحياة والنبيذ الأحمر ..حتى يكون النشاط بزيادة وننال نصيبنا من الأنس والمتعة
أما سمير زعيم الحي فهتف بالجميع
- سمعوا أدراري بغيتكم تحمروا لي وجهي راه غادية تحضر معانا أمي لالا الحاجة فنيدة وجارتها لالا ام هاني..شكون يرد ليهم البال...؟؟
اندفع حميد المزكوري بحماس وهو يقول :
-أنا سأتكلف بهما كون هاني ألزعيم..
في اليوم الموعود هبت المدينة عن بكرة أبيها الى مكان الحفل والكل يتحدث بإعجاب عن الفنان بوكرن وأغنيته الجديدة التي زعزعت الوسط الفني وغيرت معطيات كثيرة في أصول وقواعد الاغنية الشعبية ..وكان الجميع متلهفا للاستماع اليها , إضافة الى روائع أخرى من ريبرتواره..

ضاق المكان بالمحبين وعشاق الفن الاصيل...وكان الجميع يهتف بحياة الفنان بوكرن, ويشدو بأغانيه.
تقدمت مذيعة شابة الى المنصة وهي ترتدي لباسا كشف عن مفاتنها, وهتفت بصوت أنثوي غنوج عبر مكبر الصوت»مرحبا بالجمهور الكريم ..في سهرة الفنان العبقري مولاي شرشور بو كرن,الذي سيمتعنا بباقة عطرة من أغانيه الجميلة..»ولم تكد تكمل جملتها الأخيرة حتى إ نطلقت الهتافات وصفير المعجبين والمعجبات..
صرخ سمير زعيم الحي: « عاش بوكرن ...عاش فنان الشعب» . وقالت الحاجة فنيدة لأم هاني: « نهار كبير هذا أختي أم هاني ..» ..ظهر الفنان بو كرن على المنصة ببدلة صفراء فاقعة اللون وقميص بني بربطة عنق حمراء , ورفع كمنجته الى الأعلى وصرخ بصوت جهوري قوي:» في خاطر الأحباب أحنا هنا حتى الفجر»
وتعالى الصراخ والصفير من جديدعندما وضع بوكرن الكمنجة على ركبته وبدا بالعزف ثم الغناء , كانت موجة من العدوى الوجدانية قد سيطرت على الجميع.. وإ ختلط الحابل بالنابل..فهناك الراقصون, وهناك الضاحكون الباكون, وهناك المتحرشون والمحتكون..فمع موسيقى بوكرن يصبح كل شيء مباحا.. لأن كؤوس النبيذ وماء الحياوة فعلت فعلها في الشباب والشابات , وحبوب الهلوسة فتحت باب النشاط على مصرعيه

للجميع..فإذا القوم صرعى ..وبو كرن سيد عليهم قولا وفعلا..

ومع توالي الأغاني .عمت هستريا غريبة بين الجمهور , وانتابته نشوة أصبح إ حتوائها من سابع المستحيلات..

وكان رجال الأمن والوقاية المدنية, غارقين في حيص بيص يتبادلون الإشارات عبر اجهزة الطولكي ولكي, وهم يحسبون ألف حساب لهذا الطوفان البشري..قال مسؤول كبير من سلطة مدينة العمارية لزميله :» الله يخرج الطرح بخير ..بوكرن يربح الفلوس واحنا نربحوا صداع الراس وتمارة « أيده زميله وهو يقاطعه بنبرة غاضبة: « هيا هيا ننظم عملية الخروج فبو كرن يستعد لإنهاء الحفل..»

.....

انتهى الحفل ولم ينته الهرج والمرج,, بل عمت الفوضى , وتزايد الهيجان ..انسحب بوكرن وفرقته على وجه السرعة الى مستودع الملابس , بينما تدافعت الجموع بالمناكب وكثر اللغط والوطأ , وقصد الكل منافذ الخروج , بحثا عن الإفلات من شدة الزحام ..فهناك من وصل وهناك من ظل يراوح مكانه ..وفجأة دوى صوت عويل عند المنفذ الرئيسي للملعب, وقال: مدير الأمن مخبرا رؤسائه عبر جهاز الإرسال» سقط الكثير من الناس عند الخروج في حفرة مقابلة لباب الملعب الرئيسي ..يبدوان هناك قتلى وجرحى «

.....

في اليوم الموالي صدر بلاغ مقتضب يقول..» توفي أربعون متفرجا في حادث تدافع خلال حضورهم حفلا موسيقيا..رحم الله المتوفين وعجل بشفاء الجرحى..»
أما موضوع الحفرة التي كانت سببا في المأساة فلم يرد له ذكر, بل أكثر من هذا قام عمال البلدية بردم الحفرة وتبليطها بعد الحادث بلحظات...

يونيو 2011

الخطو الشارد

الأيام دائما تعاكسك.. تنتقم من أحلامك البسيطة.. وتغلق دونك نوافذ الأمل..
للمرة الألف تقف في مفترق الطريق منتظرا شمسا لا تشرق.. وقمرا لا يبزغ.. تفتح مذكرتك المهترئة وتدون تواريخ اِندحاراتك.. ثم تمهرها بأختام الإنكسار والإحباط ..للمرة الألف جّر أذيال خيبتك. وتقف مطأطأ الرأس أمام طوارق الزمن. وعاتياته.. أنت تفكر في أشياء حدثت رغما عنك.. وتتذكر خطوك الشارد في درب الحب..
كم يعز عليك الآن.. أن تعلن لنفسك.. نهاية زمن الحلم. والمشاعر الرقيقة. لتستقبل مرارة الواقع البئيس وصقيع الأحاسيس الباردة .
كم يعز عليك الآن أن تبدأ رحلتك الغامضة نحو المجهول وأنت دون قوت ولازاد. بعد أن جردوك من أوراق هويتك. وأجبروك على الرحيل بلا قيد أو شرط.
طلب منك المحقق المقنع.. أن تبصم على أقوالك المدونة في المحضر المنجز لك.. مررت بنظرك على ورقة المحضر.. كان يتضمن إعترافات من بنات أفكاره.. وأقوالا لم تصدر عنك.. اِحتججت عليه بصوت قوي..» أنا لم أقل هذا الكلام التافه».
رد عليك بصوت متهدج: «بل قلته.. وستمضي عليه أو.. «
قاطعته بصوت خافت «أعرف ماذا ستفعلون.. لست في حاجة إلى تذكير.. لكنني لن أمضي على هذا المحضر..و كفى بالله وكيلا».

دفعت ثمن تعنتك غاليا.. فقد دخلت المعتقل.. وعشت محنا لا عدد لها..
بعد سنوات خرجت أشبه بشبح.. اِصطدمت بالتغييرات التي اعترت محيطك.. رفاق الأمس قلبوا لك ظهر المجن. بعد أن نالوا حظهم من الكعكة وباعوك أنت وأمثالك. ثم حصلوا على الثمن نقدا.
دخلت في دوامة البحث عن الذات.. وحاولت أن تكيف نفسك مع المتغيرات.. وتعالج ندوب الماضي.. حاولت أن تصبح إنسانا عاديا وتمارس حياتك ككل الناس.. لكن هيهات هيهات.. فسنوات الاعتقال حولتك إلى إنسان محبط يعيش على الهامش. ويصعب عليه التواصل مع الآخرين.. وتلك هي المشكلة

الفرصة الاخيرة

الشارع شبه فارغ ..تقف عند ناصيته صامتا ..تلتفت حول نفسك ..تنفث دخان سيجارتك العاشرة, التي أشعلت منذ وقوفك ..تمر شاحنة متهالكة فتطلق دخان عادمها في وجهك..تلعن الشاحنة وسائقها وتبصق على الإسفلت في غضب.

تمدلك متسولة يدها المعروقة وتفتح فمها الأدرد طالبة حسنة..تشيح عنها بوجهك وترد بجفاء :»الله يجيب ألاألا1»..تحس أنك أضعت الكثير من تلك القيم التي عشت تعب من معينها , لم تعد لك تلك النزعة الإنسانية التي طالما نظرت وتحمست لها في حواراتك وسجالاتك مع زملائك المثقفين والمهتمين بالفكر الإنساني..لا شيء يجبرك الآن على الندم...

.....

اشعل سيجارة جديدة, نظر الى ساعته ..مضت ساعة على وقوفه , لم تحضر نازك..كانت لديه قناعة مسبقة أن حضورها مشكوك فيه..ولكنه رغم ذلك حضر وانتظر حدوث المعجزة..

أنت تتذكر ان نازك كانت جزء من ماض مثير للجدل ..عرفتها في ظروف صعبة , منحتك جسدها ومالها ..كنت يومها طالبا مفعما بالحياة يطمح إلى الغذ و يمني النفس بتحقيق ذاته.. أما هي فكانت امرأة ناضجة تجاوزت الثلاثين, رغم عامل فارق السن انجذبتما الى بعضكما وتحاببتما.

بعد شهر من التعارف انتقلت للاقامة معها في

شقتها الفاخرة ..عشتما أشبه بزوجين .. ثم فجأة حدثت القطيعة بلا مقدمات وبلا تفصيل ذهب كل الى حال سبيله, ربما كان الملل سببا للفراق ..وربما كان نزق الشباب دافعا لذلك..لا علينا ..الإنفصال حدث ومضى كل الى غايته يستحث الخطى نحو المجهول.

.....

بعد عشرين سنة ..التقاها صدفة في أحد الأسواق الممتازة , في البداية لم يصدق نفسه , لكن تقاسيم وجهها البهي وسحر عينيها الزرقاوتين وتلك النظرة الحالمة التي تونق منهما , جعلته يدرك أنها هي ..وأن عامل الزمن لم يغير فيها شيئا بل ربما زادها نضجا وجمالا ..اقترب منها وناداها باسمها , فتجاهلته لكنه الح في مناداته وقال بصوت اقرب الى الرجاء والإستعطاف:»نازك أرجو ان تمنحيني فرصة الحديث إليك ولو للحظة..لا تنسي أننا أكلنا خبزا وملحا معا» قبلت الإستماع اليه بعد لأي..فحدثها عن ضياعه واغترابه ..أسرت إليه بترملها منذ شهر فقط ,بعد زواج لم ترزق منه أطفالا..أحس أن الحياة تبتسم له , طلب ودها من جديد , لكنها صدته بلطف..وطلبت منه إحترام الظروف التي تمر منها , ألح في طلب موعد منها , وافقت دون حماس.

.....

بدأ الملل يتسرب اليك ..قلت لنفسك ..قد تجمعنا الايام غدا أو بعد غد..ثم بدأت تستعد لمغادرة المكان ..

في هذه اللحظة توقفت سيارة أجرة وترجلت منها سيدة بلباس أسود ونظارات معتمة ..التفتت إلى اليمين ثم الى اليسار واندفعت نحوك..كانت نازك ..لقد جاءت الى الموعد..إنها فرصتك الاخيرة.....

ابريل 2010

١كلمة ألالا: تعني بالدارجة المغربية يا سيدة

مالكة

كانت شمس الظهيرة ترسل أشعتها الملتهبة، والنسوة مجتمعات في «العين» وقد انصرفن إلى تصبين بعض البطانيات والأثواب الوسخة، وهن يرددن أهازيج محلية، وعلى بعد خطى انتصبت قبلة الولي الصالح سيدي محمد بلبصير(١) بلونها الأبيض، وقد حط على سقفها سرب من الحمام انساب هديله يملأ رحابة المكان، وتحت ظل كرمة مديدة العروش افترش بواب الضريح نصف حصير مهترئ ويمم وجهه نحو باب القبة، وقد زاغت عيناه المعمشتان، وسكنت يداه النافرتا العروق وبدا في جلبابه الأسود كصخرة جامدة.

عند ناصية الطريق الزراعي لاحت مالكة بثوبها الوردي الوسخ، وصندلها القديم الذي زار إسكافي الدوار أكثر من مرة، وقد بدا وجهها الصغير المدور غارقا في سبحات الوجوم، كانت قدماها الصغيرتان ترسمان خطى متخاذلة وعيناها الذابلتان تستحمان في موج الحزن وهي تتقدم في إتجاه الضريح وحين مرت بالقرب من البواب ألقت إليه بتحية خافتة، رد عليها بإبتسامة، وما عتمت أن دلفت داخلة إلى قبة – الولي بعد أن تركت صندلها عند عتبة الباب، اقتربت من التابوت المكسو بالثوب الأخضر ثم جلست وأدخلت رأسها الصغير ذي الجدائل المعصوقة إلى الخلف، تحت ثوب التابوت ولثمت خشبه ثم استندت إليه وأجهشت باكية.

تناثرت الكلمات من فمها مرتعشة وهي تتوسل «للولي» !! وتترجاه تخفيف عذابهاو آلامها. فقد شقت بما فيه الكفاية وشربت كؤوس اللظى حتى الثمالة. ولم تعد قادرة على المزيد من ظلم الحياة. قبل لحظة من حضورها إلى الضريح كانت قد انتهت من أشغال البيت الشاقة. نظفت الزريبة من روث البهائم. وقدمت العلف للبقرة. والحب للدجاج ثم غسلت أواني المطبخ. وبيضت بلاط غرف الدار الثلاث. نفضت الغبار عن الأثاث وطوت «البطانيات» والملاءات وأخيرا أكلت ما جادت عليها به زوجة أبيها من فضلات. وبعد حين من الآن عليها أن تذهب إلى دار الشيخ لتساعد زوجته كالمعتاد فتلك رغبة والدها وزوجته وهي لا تملك سوى السمع والطاعة.

اجتاح حواسها صمت رهيب وانتابتها رعشة خوف. راحت تكبر داخلها حتى استحالت إلى بحر هائج مضطرب وتدفقت ينابيع الماضي بين تعاريج ذاكرتها تبعث الحياة في كيان ذكرياتها الدفينة.

أين هي اليوم...من الأمس؟؟ !! فقبل سبع سنوات من يوم الناس هذا كانت تنعم بدفء وحنان أمها. وكانت الحياة ذات نكهة ولذة... وكان للنهار حلاوة. ولليل طراوة. وكان للفجر أنسام. وللسحر شذى. كانت يومها لغة الحياة هي السعادة وكان والدها على العكس منه اليوم أبا حقيقيا يغمرها بنبع حبه الصافي.

لكن سرعان ما هبت عواصف الأيام على دنياها الجميلة.

ولم تبق وتذر منها إلا الهشيم. وإذا بالسماء حولها خرساء مظلمة والأرض ناتئة متعرجة لا تستقيم تحت قدميها. كان ذلك ذات مساء شتوي حين عادت إلى البيت من مدرستها. وجدته مقلوبا رأسا على عقب. «مصيبة وقعت ما في ذلك شك» هذا ما أوحاه لها منظر النسوة والرجال المتواجدين بكثرة في باحة البيت وقد علت وجوههم طبقة سميكة من الحزن «أمك يا بنيتي.. أمك المسكينة داهمها جمل ولد المكي وهي تحلب البقرة أمام البيت. كان الملعون هائجا و«كشاكش» الغضب تتدفق من شدقيه. ولولا أن أدركها بعض الرجال لفتك بها. لقد نقلوها في سيارة الشيخ إلى المدينة..» بهذه الكلمات قابلتها جدتها لوالدها وعيناها تطفران بالدموع.

انطلقت داخلها صرخة ألم. وتساقطت الهواجس العملاقة على رأسها الصغير. لم تعد تدرك ما يدور حولها.. ضباب كثيف يغشى عينيها. وحزن عميق يحطم كيانها. لما عاد والدها صحبة الشيخ وولد المكي في ساعة متأخرة قال:»إنهم لم يفعلوا شيئا من أجلها.. قالوا لنا اذهبوا.. الطبيب لن يحضر إلا صباح الغد. يبدو أن حالتها خطيرة جدا».

في اليوم التالي ترجت والدها أن يصطحبها معه لرؤية أمها فوافق بعد طول جدل وحين دخلت إلى الغرفة حيث ترقد هذه الأخيرة اعترتها رعشة شديدة وفرت الدموع غزيرة من عينيها.

بعد شهر من الحادث عادت أمها إلى البيت عاجزة لا تقوى على الحركة. فقد أصيبت بكسر في العمود الفقري، حكم عليها بموجبه بالعجز الأبدي. وانقضى ردح من الزمن. فإذا بسلوك والدها يتغير كلية فهو غاضب باستمرار يلعن ويسب ويشتم لأقل سبب.. ويغيب عن البيت بكثرة حتى ذات يوم قال:»أنا لم أعد قادرا على هذه «العيشة» سأتزوج لابد أن أتزوج». وردت عليه جدتها غاضبة: «لن تفعل هذا وأنا على قيد الحياة.. لن تدخل الضرة على ابنة أخي». أما أمها المرمية في ركن منبوذ من البيت فلم تقل شيئا. كانت تعلم أنها لم تعد تصلح واستبدالها أصبح ضروريا. ولم تجد أمامها إلا السماء ترجوها أن تمن عليها بالرحيل إلى العالم الآخر حتى ترتاح وتريح وكان لها ما أرادت ففي ليلة صامتة مظلمة أسلمت الروح وانتهت مسيرة عذابها. لم يكد تراب قبرها يجف حتى توقف قلب الجدة العجوز عن الخفقان ولحقت بها إلى حيث «سيذهب الجميع». وخلا الجو لوالدها فتزوج أرملة العسولي فقيه الدوار الذي قضى منذ سنة. لم تكد هذه الأخيرة تضع قدميها في البيت حتى كشرت عن أنيابها وكشفت عن ميولها العدوانية وروحها الاستبدادية. وسرعان ما احتوت الأب. فصار أرجوزا بين يديها تحركه كما تريد وما عتمت أن التفتت إلى مالكة فصبت جام حقدها عليها. وكانت البداية بحرمانها من الدراسة وبعدها إثقال كاهلها بأشغال البيت

الشاقة ثم إرغامها على العمل بدار الشيخ بعد الزوال من كل يوم. كانت زوجة أبيها ساحرة آثمة فقد رأتها أكثر من مرة تطمر التمائم والتعاويذ في الوسادة التي ينام عليها والدها وتضع المحاليل الغريبة في أكله وشربه. ولم تكن تستطيع إزاء ذلك إلا الصمت فهذا قدرها وقدر والدها.

تابت مالكة إلى نفسها حين دقت الساعة المعلقة في منتصف جدار الضريح معلنة الثانية بعد الزوال. فموعد ذهابها إلى دار الشيخ قد حان وعليها أن تستحث الخطى حتى لا تعنفها زوجته.

المحتوى

إهداء 5
تقديم 7
لحن حزين على أوتار مستعارة 9
الوجه القديم 11
لعنة الليل 13
لحظة شرود 16
الابتسامة الصفراء 21
خلوة 23
الغاية تبرر الوسيلة 27
قتل مع سبق الإصرار 30
ليل حزين 35
عبير الماضي 39
ثمن الكرامة 44
الملك لله 49
بلا عنوان 52
الحفرة 57
الخطو الشارد 62
الفرصة الأخيرة 64
مالكة 67